

**مدينة عنابة ودورها السياسي والحضاري
منذ العهد الحمادي إلى نهاية العهد
الحفصي في المغرب**

الدكتور صالح محمد فتاح أبو دياك

قسم التاريخ - جامعة اليرموك

مدينة عنابة ودورها السياسي والحضاري منذ العهد الحمادي إلى نهاية العهد الحفصي في المغرب

ملخص البحث

تناول البحث موقع المدينة وأهميته باعتباره محور من محاور الشمال والجنوب، كما تناول ثروات المدينة الزراعية والحيوانية والمعدنية، الأمر الذي جعلها محطاً أطماع الدول المجاورة لها.

وامتاز ميناؤها بحركته التجارية النشطة من استيراد وتصدير، ومن تنافس بين الجمهوريات الإيطالية وفرنسا، واسبانية، في الحصول على الامتيازات التجارية ومن ضمنها صيد المرجان.

وتعرض البحث إلى الناحية العمرانية والثقافية في المدينة، من حيث بناء المساجد والحصون، وتوسيع المدينة وتغير أسمائها بتغير الأزمنة والحوادث التاريخية، وقدوم عدد من العلماء وخاصة من الأندلس، ممن أثروا الحياة العلمية فيها أمثال عبد الملك أبو مروان، كما كان لهم الفضل في استغلال الأراضي وتوسيع رقعتها الزراعية وخاصة زراعة الزيتون، والمتاجرة في المنتجات الزراعية مما أكسبهم الثراء والغنى، فاستخدموا جزءاً من ثرواتهم في اقتداء الأسرى من المسلمين، ممن يقعون في يد الأعداء.

Dr.Saleh Muhammed Fayyad Abu Dayyak
Associate Professor of Islamic History
Department of History- Yarmouk University

Abstract

The city of Innabah; it's political and cultural rule, From the era to the end of the Hafssi era

This study described the strategic position of the city of Innabah; its agricultural and mineral wealth, which made it an attractive spoil for its neighbors.

The city had a bousy port which witnessed a commercial actives on a large scale. France, Spain, and the commercial Italian cities competed to get commercial privileges in the port, form its rulers.

The study also discussed the cultural and architictural developments in the city. Many learned men "ulama" migrated to the city from all over the Muslim world, especially from al- Andalus. Few of them, like, Abd-al-Malik-abu Marwan contributed to the development of agricultral land, especially in plauting olive trees, which resulted in a surplus of agricultral produce and enabled the farmers to trade their products. These economic developments enriched the city and its rulers, who used part of their weath to ransom Muslim Prisoners caught by their enemies.

عاشت مدينة عنابة فترات متتالية من تاريخها الطويل، عرفت أثناءها تبدل الأماكن وتغير الأسماء، تبعاً للظروف السياسية والأحوال الاقتصادية التي امتازت بها كل فترة من هذه الفترات، وارتبط اسمها بأسماء عدد من الأماكن في الشرق، فجل عناب الواقع في طريق مكة، وكذلك موضع عنابة الواقعة على بعد ثلاثة أميال من الحسينية الواقعة في الطريق المؤدية إلى مكة^(١).

والعناب ثمر معروف، وواحدته (عنابة) وقد يسمى ثمر الأراك عناباً، ويقال كذلك (السنجلان) بلسان الفرس^(٢)، ويسمى باللغة الفرنسية (Jujube) وباللاتينية (Zizyphum)^(٣)، وأشجار العناب، أشجار شوكية، متعددة الأنواع، بعضها زينة، وبعضها أشجار مثمرة، وثمرها يصلح للتداوي، ينفع في السعال ووجع الكليتين والمثانة^(٤).

ويبدو أن كتب الجغرافية العربية وكتب الرحلات السابقة للقرن التاسع الهجري - الخامس عشر الميلادي، التي وصلت إلى علمي، لم تورد اسم (عنابة) الجزائر ضمن الأماكن المذكورة في الشرق آنفاً بل ذكرت اسم بونه، حتى البكري الذي يصف بونه أكثر من غيره لا يذكر اسم عنابة ضمن الأسماء التي تعاورت على المدينة أثناء تطورها، كمدينة زاوي، و(بونة الحديثة)^(٥). وقد يستدل من ذلك أن هذا الاسم جديد نسبياً، أو أنه لم يكن معروفاً أو شائعاً حتى يدون في تلك المؤلفات، لكن ابن خلدون على الرغم من عدم إشارته لا في كتابه ولا في مقدمته إلى (عنابة) إلا تحت اسم بونة، فإن التعبير (بلد العناب) قد ورد في كتابه عند حديثه عن بطون الهلاليين وهجرتهم وعن استقرارهم، فيشير إلى أن أعز بطون الأثبج وأعلامهم، كانت مواطنهم بين بلد العناب^(٦) وقسطنطينية. وقد تكون التسمية الجديدة قد أطلقها هؤلاء العرب الوافدون على المنطقة، لما رأوه من كثرة شجيرات العناب في إقليمها^(٧)، ثم لم تلبث أن انسحبت التسمية على المدينة ذاتها لكثرة تجارتها بثمر العناب في الداخل والخارج^(٨).

وإذا كانت كتب الجغرافيين والمؤرخين قبل القرن التاسع لم تتل كلمة عنابة حيزاً في كتبهم، فإن كلمة بونة قد شاع ذكرها عندهم، وارتبط اسمها هي الأخرى بأسماء أماكن عديدة مثلما ارتبط اسم عنابة من قبل.

بونا بفتح أوله وثانيه وتشديد نونه، والقصر، ناحية قرب الكوفة، يقال لها ثل بَوْنَلْ البونت بالضم والواو والنون ساكنان والتاء فوقها نقطتان، حصن بالأندلس وربما البُنْت، تون، مدينة باليمن، زعموا أنها ذات البئر المعطلة، والقصر المشيد، وبَوْن بفتحتين، ويروى بسكون الواو. بليدة بين هراة ويغشور، وهي قصبة ناحية باذغيش بينها وبين هراة مرحلتان، قال: سمعته يسمونها بينة^(٩). عرفت بونه في العصور القديمة تحت اسم (هيبو، هيبون)^(١٠)، الواقعة على ركب وادي سيبوس عند السفوح الشرقية لمرتفعات ايدوغ، تتبسط حولها سهول خصبة على امتداد أربعين ميلاً طولاً، وستة وعشرين ميلاً عرضاً؛ أي ما يساوي ٤٦ كلم طولاً، ٤٠ كلم عرضاً، وعلى هامش هذه السهول تبدأ المرتفعات النوميديّة في الظهور، حيث الغابات الكثيفة والأشجار المثمرة، ويطل جبل (ايدوغ) عليها من الخلف، الغني في الثروة المعدنيّة كالحديد والنحاس إلى جانب الرخام مما ساعد في تعدد الموارد الاقتصادية^(١١).

ويبدو أنه قد أقيمت فيها كنيسة القديس اغسطين العالم النصراني، وهذا الذي دعا البكري أن يسميها باسمه مدينة افشتين^(١٢). وعندما فتحها المسلمون بقيادة حسان بن النعمان سنة ٧٨هـ/٦٩٧م^(١٣)، في عهد الخليفة عبد الملك سنة ٦٥ — ٨٦هـ/٧٨٤ — ٦٨٧م وإن رأى بعضهم أن فتحها تمّ على يد^(١٤) عقبة، ولكن الأرجح لدى المؤرخين أن حسان هو الذي فتحها، وعند فتحها استقر المسلمون بجوار الخرائب الرومانية بالقرب من وادي (سيبوس). وينكر بعض المؤرخين بأن المدينة (هيبون)

من بناء الكرينيين^(١٥)، ويرى معظمهم أن الفينيقيين^(*) هم الذين قاموا ببنائها، مستندين في قولهم أن الجذر العربي لمدينة هيبون هو أوبو (Ubbo) أو أبون (Ubbon) عب يعب عباباً، ومعناها المياه المتدفقة^(١٦)، وقد يصدق الاسم، لأن المنطقة المجاورة لها منخفضة، ويغمرها الماء بشكل دائم، وقد استخدمت فيما بعد لزراعة الأرز. وربما أدت مثل هذه السبخات إلى وجود الرطوبة فيها، مما جعلها غير ملائمة للبيضان، كما يقول البكري^(١٧).

وهناك المدينة الجديدة التي تبعد عن المدينة القديمة ثلاثة أميال، والتي سميت بعد اقتطاعها لزاوي بن باديس بمدينة زاوي، وكان قد أقطعها إياها المعز بن باديس، رابع سلاطين بني زيوي، وصلته به أنه حفيد أخيه بلكين، وقد نزل لاجئاً من الأندلس سنة ٤١٠هـ/١٠١٩م^(١٨)، وبعد أن حكم مملكة غرناطة من سنة ٤٠٣ - ٤١٠هـ/٩٨٢ - ١٠١٩م عندما قدم إليها من المغرب، وعنه يقول ابن خلدون عند لقاء المعز به: "ولقيه بأحسن البرّ والتجلة، وأنزله أرفع المنازل من الدولة، وقدمه على الأعمام والقراة، وأسكنه قصره..."^(١٩).

وتتمتع المدينة بموقع ممتاز بين تخوم مملكتين صنهاجيتين شرقية وغربية، مملكة القيروان شرقاً، والقلعة أو بجاية غرباً، وقد أشار إلى هذا أبو الفدا بقوله: "إن بونة على آخر سلطنة بجاية، وأول سلطنة أفريقية"^(٢٠) والنزاع قائم بين السلطنتين، الأمر الذي سهل له السيطرة عليها، ويبدو أن ذلك الوقت وقت إقطاع، وهذا ما عناه البكري بقوله: "اليوم..." يعني في وقت متأخر، والبكري دون كتابه في سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٧م واقطاعه إياها سنة ٤١٠هـ/١٠١٩م.

(*) أطلق الإغريق على الكنعانيين اسم "فينيقيين" وأول مرة كان ذلك في (الأوديسية) وبعد ذلك لدى هكاتيتوس المؤرخ - الجغرافي اليوناني (٥٦٠-٤٨٠ ق.م.)، ثم شاعت فيما بعد... ولا نعثَر على هذه التسمية "فينيقية" في وثائقنا القديمة، وبالتالي التسمية خاطئة ولا يوجد شعب فينيقي مختلف عن الكنعانيين. رئاسة التحرير

وعندما قدم العرب إليها، كان سكانها من قبائل أوربة ومصمودة، ونفرة، وللهامسة البربرية. وذكر موقعها ابن حوقل بأنها تقع على نحر البحر^(٢١)، وأما عن الرأي القائل بأنها بنيت في أواسط القرن الرابع الهجري، فهذا يرجع إلى الظروف التي مرت بها، فعندما غزاها النورمان، كان لا بد من تجديدها وتسويرها، ولأنها واقعة على نحر البحر على الجهة الغربية ما بين أفريقية وصقلية، أكسبها أهمية خاصة، فكان ميناؤها يعد ثغراً هاماً في الشرق الجزائري بحركته التجارية النشطة، حيث يصدر الخشب المصنوع وغير المصنوع، والنانج والأرز، وحرير قابس، والمواشي وخاصة البقر — بقر قاله، وقموح الولاية كلها إلى جانب السمك والإسفنج والمرجان، ويستورد من الشرق، الزليج الذي يستخدم في بناء الجوامع والقصور، والكاغد الذي سهل مهمة التأليف وساعد على نشر التعليم بشكل أوسع^(٢٢).

وتلتصق بونه بأرصفة المرجان، وإن صلتها التجارية البحرية مرتبطة بصقلية وسردينية الغربية حتى البليار، فأسبانية، وأقصى المغرب^(٢٣)، وكان من الصعب الملاحه في هذه المناطق، لعدم توافر شواطئ صالحة للملاحه، ومراسي أمنية تقى المراكب من العواصف. وبونة — عناية — هي المحطة الآمنة التي لا بديل عنها، والتي تستقبل السفن من بلدان مختلفة، مثل: المغرب، أسبانية، جزر البليار، قبل توجيهها نحو المشرق. ويرجع ذلك إلى الخصائص الطبيعية لموقعها، حيث يطمئن الملاح إليها، ويرى فيها الملجأ الأمين في وقت تقل فيه الملاجئ. والذي يقف على برّها يرنو إلى البحر كله بنظرة واحدة، على خليج واسع بين رأسي (غارو) و (روزا) وانتصاب جبل ايدوغ الشامخ والذي يبلغ ارتفاعه ١٠٠٨م، وحمايتها من الرياح الغربية والشمالية، يجعلها من المراسي الفريدة^(٢٤)، ونظراً لما تحويه من إمكانات اقتصادية جيدة، جعلت ابن حوقل في القرن الرابع الهجري، يصفها بالتميز بحجمها الوسيط حيث يقول: "مدينة مقتدرة، ليست بالكبيرة ولا بالصغيرة، فيها خصب ورخص موصوف..."^(٢٥).

أما البكري الذي زارها في الربع الأخير من القرن الخامس للهجرة / الحادي عشر للميلاد، بعد وصف ابن حوقل لها بقرن، يقول: "...ذات ثمر وزرع...كثيرة اللحم واللبن، والحوت والعسل وأكثر لحمانهم البقر...." (٢٦).

وعندما استولى النورمان على صقلية سنة ١٠٤٨هـ/ ١٠٥٣م، قاموا بعدها بغزو عنابة في الفترة التي انتقلت بها من مملكة بجاية الحمادية إلى السلطة الموحدية، وبعد خروجهم منها، قام أهلها ببناء ما تهدم منها وتسويرها، مما دعا البعض إلى القول، بأنها بنيت في أواسط القرن الرابع الهجري، وأنها سورت بعد سنة ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م (٢٧).

ولكن رغم ضعفها وقلة عمرانها، إلا أن خيراتها كانت وفيرة، وقد أشاد بذلك أبو الفدا من أهل القرن الثامن الهجري بقوله: "...بها من أنواع الفاكهة ما يعم أهلها، وأكثر فواكهها من باديتها، والقمح والشعير في أوقات الإصابات...كثيراً جداً..." (٢٨).

ويصفها الوزان بعد قرنين من الزمان عند مروره فيها، فيقول: "...تشتمل مدينة عنابة على ٣٠٠٠ أسرة، وسكانها طيبون...وفي الجانب الشرقي قصبة عظيمة، محصنة تحصيناً بناها ملوك تونس، ويسكنها الولاة، وتمتد الأراضي المزروعة خارج المدينة إلى مسافة ٤٠ ميلاً طويلاً، ٢٥ ميلاً عرضاً، وهذه الأراضي صالحة للحبوب،...." (٢٩).

يستنتج من الحديث عن موقعها، ما كانت تزخر به من إمكانات اقتصادية وفيرة، لأنها كانت محط أنظار، خصوصاً ما فرضه عليها قدرها من وقوعها ما بين محوري المشرق والمغرب وبالعكس، محور الشمال والجنوب وبالعكس، بكل ما تحويه هذه المحاور من سلام وحروب، ومن تأثيرات بشرية وحضارية، ويبدو من استقراءنا لحركة الحضارة والموجات البشرية، إن محور الشمال والجنوب وبالعكس في العلاقات ما بين صقلية - أفريقية، كان دائماً أقوى وأعنف من العلاقات المشرقية - المغربية لتقارب طرفي البحر، وسهولة التواصل، والتباين الحضاري والبشري

والمطامع الاقتصادية لكل طرف من أطراف البحر وارتباطه بالطرف الآخر. فقد كان الطرف القوي هو الذي يسيطر على الطرف الأضعف، سيطرة الدمج، حتى في تبادل السلع، فأسمك صقلية مع زيت جربة، وما يقدمه الساحل الأفريقي من مرجان وجلود وصوف وأبقار ورخام وحديد ونحاس وغيرها من المنتجات، التي تصدر إلى محور الشمال ليصل إلى أسواق سردينية التي هي بدورها تصدر نحاسها وفضتها إلى أفريقية^(٣٠).

وباستقرار الإسلام في المغرب، اختل توازن محور الشمال، وظهر للوجود محور الجنوب، ولما كان المسلمون هم القوة العظمى عسكرياً واقتصادياً وروحياً، فإن حركة المد كانت من ساحل الشمال الأفريقي إلى الشمال الأوربي، وكانت بونة — عنابة — أول نقاط الرباط والحصون التي اتخذها الأغلبية على ساحل المغرب، لتكون حارسة للساحل من الهجوم البيزنطي، ومشحونة بالمقاتلين والأسلحة، ومجهزة بالسفن استعداداً للغزو، وهذا ما نستدل عليه من قول البكري^(٣١) والمقدسي، بأنها كانت مسورة في القرن الرابع الهجري، ومعنى ذلك أن من تعاقب عليها من الأغلبية والفاطميين ومن جاء بعدهم كانوا حرصاء على تحصينها لأهمية عمقها الحربي في البحر المتوسط. ويثبت هذا الاستدلال ما ذكره ابن حوقل عنها: "...فيها عامل قائم بنفسه، ومعه من البربر عسكر لا يزول كاترابطة"^(٣٢).

والبكري يؤكد مناعة الأسوار، بقوله: "...منه كانت تخرج الشواني غازية إلى بلاد الروم، وجزيرة سرديانية وكرسفة وما ولاها..."^(٣٣).

ويبدو أن دورها الجهادي مع الدول المسيحية الواقعة على البحر المتوسط وخاصة حده الشمالي لم يفقدها دورها التجاري القديم، فهي — كما ذكرنا — محطة تجارية هامة على خط مبادلات السلع المشرقية المغربية وبالعكس، ومن ثم فإنها كانت إحدى محطات العمل التجاري للأندلسيين، فأكثر تجارها منهم، يأتون إليها منذ زمن بعيد

حينما كانوا يمرّون منها ذاهبين إلى الحج فيمكثون فيها عند العودة أو الذهاب طلباً للعلم، وقد يمكثون للعمل بصيد الأسماك والمرجان، وهذا ما جعل وجودهم حاضراً، وكان من أبرز علمائهم سيدي أبو عبد الملك مروان وليد قرطبة^(٢٤). والرازي الذي تسمت باسمه، ولكنه كان أميراً على الأندلس قبل قدومه إليها، وعندما بدأت حركة الاسترداد قدمت أعداد كبيرة منهم إما من موانئ الأندلس، أو الموانئ الأوربية الأخرى، كميناء مرسلية في جنوب فرنسا^(٢٥). لذا كان موقعها محط أنظار، ومركز صراع بين الدول، فقد تعرضت لهجوم من الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة ٣٤٥هـ/٩٥٦م^(٢٦) أثناء خلافه مع الفاطميين، وبعد قرن من الزمان وبالتحديد سنة ٤٢٦هـ/ تعرضت لهجوم بحري موحد من قبل القوات البحرية من بيزة وجنوة، التي قامت في الهجوم عليها انتقاماً منها لأنها محور النشاط التجاري البحري ومصدر مكاسبه، فأراد أهل المدينة إبعاد المسلمين من الجناح الغربي للبحر المتوسط بسبب منافستهم الاقتصادية للمدينيتين ولغيرها من المدن الإيطالية وذلك سنة ١٠١٧م. وهنا يمكننا القول بعودة الحياة والنشاط إلى شعوب محور الشمال النصراني، يقابله ضعف في المحور الجنوبي المسلم، وظهور شعوب جديدة على مسرح السياسة كلنورمنديين الذين انتزعوا تدريجياً جزيرة صقلية من المسلمين منذ عام ٤٥٢ - ٤٨٥هـ = ١٠٦١ - ١٠٩٢م، وكذلك مالطة، وبعملهم هذا افتتحوا الحروب الصليبية عبر البحر المتوسط، وبدأها الاسبان في الأندلس؛ بدعم من نصارى أوروبا كلها في حوض البحر المتوسط، قصد مراقبة الملاحة فيه، واحتلال موانئ الأقطار المغربية ضد المسلمين واستغلال خيراتها، واستبعاد شعوبها. ولم تمضِ إلا سنوات قليلة على سقوط غرناطة حتى انطلق هؤلاء ينفذون خططهم بكل قوة، فاحتلوا عناية سنة ٩١٧هـ/١٥١١م، ولكنهم لم يمكثوا بها طويلاً، بدليل أن الحسن الوزاني زارها سنة ٩٢٣هـ/١٥١٩م، فلم يذكر شيئاً عن وجودهم فيها^(٢٧).

وسعى النورمنديون إلى الاستحواذ على المغرب العربي، منتهزين صراعاته الداخلية، والهجرة الهلالية، التي استولت عليها بقيادة زعيمهم^(٣٨) مسعود، وقد ذكر ذلك الإدريسي بقوله: "ولها إقليم وأرض واسعة تغلبت العرب عليها"^(٣٩) دون أن يذكر ثروات هذا الإقليم، وكان أبرز القبائل التي سيطرت على الإقليم قبيلة مرداس^(٤٠)، ولكن الأمير الحمادي خلصها منهم، الأمر الذي دعا إلى تشييدها بالعمران المتسم بالحصون الدفاعية، كما ورد عند شيخ الربوة^(٤١). ومهما يكن من أمر فإن - عناية - كانت ضمن مشروع روجر النورمندي الذي رأى فيها مخنق جنوب صقلية وتونس، لهذا أرسل فليب المهداوي لاحتلالها عام ٥٤٩هـ/١١٥٤م، واسمه يدل عليه، فهو مسلم من المهدية، لكنه تنصر، وقد ساعدته القبائل الهلالية، فأسر سكانها، عدا علمائها، وسمح لهم بالالتجاء إلى المدن المجاورة، وأناب روجر عنه في حكمها الأمير حارث الحمادي، لكن الأمر لم يطل، فقد جاء الموحدون، وأخذوها منه سنة ٥٥٦هـ/١١٦٠م، لكنها لم تنهأ بعيشها، لأن الأوربيين سكان الشمال للبحر مصرون على إخراج المسلمين منه، فنهجوا أسلوباً حربياً جديداً، تمثل في القرصنة؛ التي أصبحت تشن الهجمات على الموانئ الإسلامية، فتنهب وتسلب وتحرق وتدمر، وتتخطف الناس لتبيعهم عبيداً وإماءً أو يفتدون بمال كثير.

ويبدو أن المشرق الإسلامي لم يكن غافلاً عما يجري في المغرب على الرغم مما يعانیه من محن، وكأنها نصهر النفوس، وتوحد الأهداف، وقد أشار ابن جبير إلى مأساة وتعاطف المشاركة معهم على المستوى الشعبي، لأن الأمة الإسلامية آنذاك، شعرت أنها أصيبت ببلاء عظيم سواء كان في المشرق أو المغرب، وعليها مواجهته من أين أتى، وأي إصابة، سواء كان مغربياً أو مشرقياً، وفي هذا يقول: "ومن الفواجع التي يعانيتها من حل - بلاد الكفر - أسرى المسلمين يرسفون في القيود ويصرفون في الخدمة الشاقة تصريف العبيد، والأسيرات المسلمات كذلك في أسواقهن خلاخيل الحديد فتقطر لهم الأفئدة..."^(٤٢).

وهذا الحال الذي يصوره في عام ٥٧٨هـ/١١٨٢م، حيث ابتدأ رحلته في هذا التاريخ، ويشير إلى أن مسلمي الشام ذكوراً وإناثاً من أهل اليسار كانوا يوصون بقسم من مالهم في افتداء المغاربة، وأشار إلى وضع رجل مغربي من بونة - عنابة - كان يعمل في بجاية، وقد وقع أسيراً، ففداه تاجر شامي، له تجارة مع بلاد الفرنجة. ولم يقتصر الأمر عليه، وعلى أمثاله من المشاركة، فقد قام مصطفى فردناش^(٤٣) شيخ الأندلسيين الذي لجأ إلى عنابة في حملة لطردهم، فأخذ يزرع الزياتين، فنمت ثروته بسبب معرفته الجيدة بالأساليب الزراعية، وتولي فدية المسلمين المأسورين عند النصارى، وكان له تجارة مع أوروبا، فيقوم ببيع السكر وبذور الكتان والاتجار بالأقمشة الرقيقة الناعمة المسماة في التعبير العامي بـ (الشاشية). وبسقوط الدولة الموحدية في المغرب، انقسم المغرب على نفسه، وشكلت فيه ثلاث دويلات دولة المرينيين بفاس، ودولة الزيانيين بتلمسان، ودولة الحفصيين الذين هم فرع من الموحدين بتونس، وبهذا التقسيم أصبحت مدينة بونة - عنابة - موضوع نزاع بين الأمراء الحفصيين المؤيدين لتونس، أو الموالين للمرينيين بفاس، إلا أنها كانت ولعامين (٧٦٠ - ٧٦٢هـ = ١٣٥٨ - ١٣٦٠م) مركز حكم الأمير الحفصي الفضل الذي يعد من مؤسسي الدولة، وهذا الأمر أصابها من قبل في أواخر الدولة الموحدية، حينما انتزعها منهم يحيى بن غانية الميورقي الملقب بالصحراوي، والذي حكمها لمدة عامين (٥٩٩ - ٦٠١هـ = ١٢٠٢ - ١٢٠٥م)^(٤٤).

وفي القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، اختل ميزان القوى البحرية، فأخذت القوى البحرية الإفريقية في الصعود، والقوى الإسلامية وخاصة الحفصية في الهبوط، من حيث الصنع والعتاد، وقامت أساطيل جنوة وبيزّة وأرغون بتطوير صناعة سفنها تطويراً جيداً من حيث النوعية والكمية، استعداداً لغزو المغرب الإسلامي، المنقسم على نفسه، ورأت في هذا الانقسام فرصة طيبة لاقتناصه، خاصة الارغونيين الذين رأوا في المغرب عامّة، وتونس خاصة مأوى للأندلسيين وامتداداً

لهم، فقام نائب ملك برشلونة المعين من طرفه على صقلية بشن غاراته على المغرب الكبير، وبطبيعة الحال لم تسلم بونه من هذا الغزو، فدخلوها وثلّموا أسوارها، وأخذوا عدداً كبيراً من أهلها أسرى. وفي عام ٦٨٩هـ/١٢٩٠م، هاجموا المهدية وعناية وأسروا من الأخيرة ومن ضواحيها عدداً لا يستهان به^(٤٥).

في هذا الوقت زارها الرحالة المغربي العبدري، في طريقه لتأدية فريضة الحج، فرأى ما فيها من ضعف، وما هو عليه الأسطول الفرنجي من قوة وازدهار، فوصف حالها في رحلته حيث قال: "...وجدها بطوارق الغير مغبونة، مبسطة البسيط، ولكنها يزحف النوائب مطوية مجنونة، تلاحظ من كتب فحوصاً ممتدة، وتراعى من البحر جزر ومد، وتغازلها العيون من وجود النوائب، وتأسى لها النفوس من الأسهم الصوائب..."^(٤٦).

وأشار إلى القرصنة من قبل الفرنجة في البحر، وكيف أن بونة أثناء مروره منها قد مر "...بها زورق للنصارى لا تبلغ عمارته عشرين شخصاً، وقد حاصروا البلد حتى قطعوا عنها الدخول والخروج، وأسروا من البر أشخاصاً فأمسكهم للفتاء بمرسى البلد". واعتبر العبدري، وله الحق في ذلك أن من أغرب المسموعات أن عشرين شخصاً يتحكمون بمدينة، وهذا يدل على انحطاط أمرها وذبول حيويتها من كثرة الغارات عليها، ونظم العبدري منظومة شعرية واصفاً فيها رحلته فقال:

وبونة قد أبانت من أبانت صروف الدهر من سام سري

ولكن عندما نزلت القبائل حولها ذات العصبة الواحدة، وتكاثر عددها ساعدها في الدفاع عن نفسها، إلى جانب ما منحها الله من موانع طبيعية فكانت مسالكها وعرة، ويبدو أنها توسعت زمن الهجرة الهلالية، لأن نزولهم فيها أدى إلى ضيقها، الأمر الذي دعا إلى توسعتها وجعلتها قريبة من أهل العصبية القبلية، لما احتوت عليه من سهول صالحة للزراعة والرعي، وفي ابتعادها عن المدينة القديمة هيبو مكن أهلها في الدفاع

عنها، ولعل من نزل فيها زمن الهجرة الهلالية، وضع نصب عينيه الانطلاق في الغزو البحري لا التجارة فقط.

والواقع رغم ما تعرضت إليه بونة من محن جرها عليها موقعها، وجعلها محط آمال الدويلات الأوربية كلها، تتخذها نقطة انطلاق لتوسيع تجارتها مع المغرب الكبير، بعد أن وقعت اتفاقيات تجارية مع الدولة الموحدية إبان حكمها لها، وكانت جنوة من أوائل المدن التي وقعت مع الموحدين معاهدة تجارية سنة ٥٤٨هـ/١١٥٣م، ضمنت فيها لرعاياها حرية التجارة في المغرب الإسلامي براً وبحراً، على أن يؤخذ من البضائع الواردة إلى بجاية العشر وإلى غيرها ثمانية في المائة^(٤٧).

وتوسع نطاق الدول الأوربية في المجال السلمي، فدخلت البندقية الميدان، ووقعت اتفاقها عام ٦٢٩هـ/١٢٣١م وعملت بيزة على توسيع اتفاقها مع الحفصيين^(٤٨)، وحصلت على ضمانات أكثر عام ٧٥١هـ/١٣٥٠م، وجددت جنوة اتفاقها عام ٦٣٤هـ/١٢٣٦م، وتقدمت الأرغون إلى السلام مستبدلة بالخصام الوئام، ووقعت اتفاقية سنة ٦٧٠هـ/١٢٧١م، وأيدت الاتفاقيات كلها، ورأت فيها مثلاً رأى غيرها ما يسمى بالامتيازات، وقد تضمنت الاتفاقيات في خطوطها العريضة تأمين الملاحة والتجارة المتبادلة، وتجديد أسس التجارة بين الطرفين، وضمان إقامة الأوربيين الأجانب في الموانئ المغربية، وأن يكون لكل جالية أوربية^(٤٩) (أمة) قنصلها وفندقها لحماية بضاعتها، وإقامة أفرادها، وأن تضمن المسؤولية الفردية، وأن لا تؤخذ الجالية بجريرة دولتها، وإن أخذوا بذلك عدّ مأخذاً على الدولة المضيفة.

وهكذا كان لتلك الدول الأوربية المعاهدة، فنادقها في بونة، كما كان لها فنادقها في تونس، وبجاية وصفاقس، وجربة، وهذه الاتفاقيات حدثت من جموح صاحب برشلونة ولجؤته عندما لم يجد بداً من ذلك إلى المسالمة، بدلاً من الحروب، ومنذ سنة ٦٩١هـ/١٢٩١م، بعد تخلخل قواته وضعفها، انقلب ميزان القوى لصالح المسلمين،

فقد شرع أهل بجاية في القيام بما أسماه ابن خلدون بالجهاد البحري، وقد تميزت به مدينة بجاية أكثر من غيرها من مدن الساحل، وإن كان لمدينة عنابة جزء كبير من المشاركة في هذا الميدان. ويصف ابن خلدون جهادهم البحري الذي شاركهم فيه الأندلسيون انتقاماً من الفرنجة بشكل عام، ومن الأسبانيين الذين أخذوا يقتطعون ممتلكاتهم بشكل تدريجي، تحذوهم الآمال بالانتصار، مما أدى إلى شحذ همهم فيقول: "...تمت عزائم كثيرة من المسلمين بسواحل إفريقية لغزو الأسطول، ويتخذون له أبطال الرجال، ثم يركبونه إلى سواحل الفرنجة وجزائهم، على حين غفلة فيختطفون فيها ما قدروا عليه، ويصارعون ما يلقون من أساطيل الكفرة فيظفرون بها غالباً، ويعودون بالغنائم والسبي والأسرى، حتى امتلأت سواحل الثغور القريبة من بجاية بأسراهم تضج طرق البلاد بضجة السلاسل والأغلال، عندما ينتشرون في حاجاتهم، ويغالون في فدائهم بما يتعذر منه أو يكاد..."^(٥٠). وهذا الأمر يرجعه ابن خلدون إلى منتصف القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي، إذ يقول: "...منذ ثلاثين عاماً وكان يتكلم عن الحملة على المهديّة..."^(٥١).

وكان لا بد للحكام من مباركة ما قدمت به الأمة من تنظيم لكسب رضاها، فباركته الدولة الحفصية، والواقع أن هذا التنظيم حري بالدراسة، لما كان له من آثار امتدت حتى المشرق، وشملت معظم السواحل فيه^(٥٢).

ولقد رأينا ضغط الدول الإسلامية على سواحل الفرنجة منذ أيام البيزنطيين والنورمان كان متواصلاً ومتواتراً، فالمسلمون الأولون، ثم الدولة الأموية والعباسية، وما ينوب عنها في الجناح الغربي (الأغالبة)، وتلاها في هذا الجناح الفاطميون، والزيريون، والموحدون، مما أدى إلى يقظة الأمم الإفرنجية ممثلة بحكامها التي أخذت تترقب الفرص، لأخذ ثأرها ورد اعتبارها، وقد ظهر هذا واضحاً في هجومهم عام ٧٩٢هـ = ١٣٨٩م، ولكنه فشل، ثم قامت سفن فالنسية وميورقة في الهجوم على دليس، وعلى المهديّة، سنة ٨٠٠هـ / ١٣٩٧م، وفشلوا في الحملتين^(٥٣).

وربما كان من العوامل التي أثارت مخاوفهم، بروز القوة العثمانية وفتحها القسطنطينية بقيادة محمد الفاتح، لذلك سارعت دول الفرنجة إلى تجديد اتفاقياتها مع دول الغرب، وقد رأينا ذلك آنفاً. وكان الأوروبيون يتكالبون على سلع الموانئ المغربية سواء مما كان من الإنتاج المحلي أو مما يستورد ويصدر، والملاحظ أن بونة - عناية - كانت محط آمال المرسيبيين والجنوبيين، الذين كانوا يشترون القمح والسمن ويصطادون المرجان^(٥٤) وخاصة في مرسى الخزر - القالة. ورغم أن هذه الحركة التجارية في صالح اقتصاد العنابيين إلا أنهم لم يتقوا بهم، فقد عارضوا المرسيبيين الذين أنشؤوا حصناً^(٥٥) دفاعياً لهم ضد القراصنة من بني جلدتهم ليسهل عليهم جمع المرجان والاستئثار به دون الجنوبيين.

ويعود ميزان القوى البحرية للفرنجة بشكل عام إلى الصعود، ويستمر حتى يصل إلى أوج قوته بجانب خصمه الأسطول الإسلامي، عندما طرد المسلمون من الأندلس، وظهر المد الاستعماري الأسباني البرتغالي على السواحل المغربية، ومنها عناية ليبطلوا مفعول غزاة البحر المغاربة الذين كانوا ينطلقون منها إلى نيس وجنوة وبروفانس، فشعر العنابيون مثلاً شعر غيرهم من المغاربة، بأهمية الصناعة البحرية، فعملوا على تتميتها حتى غدت لها قوانين وأعراف وتميز واضح عن غيرها من الذين كان لهم دور بارز في القتال، وفي الصناعة، وفي الخطط الحربية، بدافع الانتقام والأمل في العودة إلى الأوطان، حتى انضم إلى رجال هذه الصنعة بعض المغامرين الأوروبيين طمعاً في الكسب المادي.

ونخلص من حديثنا إلى أن مدينة عناية، كانت دائمة النشاط البحري الإسلامي بشكل عام والمغربي بشكل خاص في صراعه مع القوى البحرية الإفرنجية الأوربية، التي تريد السيطرة على الحوض الغربي للبحر المتوسط، هذا الدعم الذي يتناسب مع موقعها وتقاليدها الحربية البحرية، ولذلك عندما وجدت نفسها تخون أهلها وتخرج عن تقاليدها لخيانة الحكام الحفصيين لها، ثار أهلها عليهم، وانضموا إلى خير الدين وأخيه

عروج أو أروج بن يعقوب المدلي التركي، فانطلقا منها بحملة حربية نحو تونس عام ٩٤٢هـ/١٥٣٥م، وبقيت وفيه لهما حتى عند انهزامهما أمام شارلكان، فقد ثارت على السلطان حسن الحفصي لموقفه المتخاذل والمنحاز للأسبان الذي أرجعوه إليها، وتعهدوا له بحماية سلطانه مقابل عمالته، وفي هذا يقول صاحب الحل: "ومنها ركب البحر في عشرين غراباً"^(٥٦). وقصد ميورقه ومنها عاد إلى الجزائر، وظلت المدينة رافضة له، حتى منيت بغزوة أسبانية بقيادة المركز (دومونديخار)^(٥٧) ووضع فيها حامية مكونة من (٦٠٠ مقاتل) وبقوا فيها خمس سنين، ليعود الأتراك إليها ومعهم بربروس؛ والذي يمكن استنتاجه أن بونة - غنابة - وغيرها من مدن الشرق الجزائري، تقلبت في موجات الحكم منذ العهد الزيري إلى العهد الحفصي إلى التبعية لبحاية، إلى العهد العثماني، حيث أضحت من ضمن إيالة الجزائر. وهذا يعود إلى أهمية موقعها ومينائها المتميز بحركته التجارية إلى جانب خصب تربتها ووفرة المعادن^(٥٨)، فيها، كل هذا جعلها ملجأ للبحارة من الأنواء، ومطلباً للقراصنة والغزاة، ينطلقون منها صوب الشواطئ الأوربية سواء القريبة منها أو البعيدة^(٥٩)، منها، مثل شواطئ اسبانية الذين يصلون إليها عبر المحيط الأطلسي أو عبر البحر المتوسط، وربما اتخذها بعض الغزاة مشى يستريحون في مينائها، ويراقبون منها نشاط القراصنة في البحر، وإن كان قليلاً في فصل الشتاء. ومع هذا كله، فإن سجلها في العمليات البحرية قليل، فهل كان ذلك لأنها لم تكن مركزاً كبيراً من مراكز الغزو الرئيسية التي كانت للقراصنة أو للغزو الإسلامي، أو لأن التعاون بين غزاة البحر المسلمين، جعل للموانئ كلها دوراً واحداً، دون أن يكون لكل ميناء سجل خاص به، وبالتالي لا يظهر عمل كل ميناء بشكل مستقل، أي لأن الوثائق البحرية لم تدرس كلها على الصعيد العربي، وأنا أميل إلى هذا الرأي. ولكن ما حصلنا عليه من معلومات تفيد أن في كل صيف من كل عام، كان يخرج مركب محمل بالشحم والسمن إلى المراكب الجهادية دعماً لرجالها، ولعل هذا المركب هو الذي كان يسمى بمركب (زكاة

الشرق)، ولعل المقصود منه - الشرق الجزائري، ويمكن القول أن عنابة في محوري علاقاتها كانت مركز تفاعل مع الشمال الأوربي ومع المغرب والشرق، الإسلاميين، فكانت تستقبل القوافل البشرية التي تحمل معها عقائد دينية، مضامين فكرية، وثروات اقتصادية، وتجارب حياتية كل هذا أكسبها نضجاً وقوة، ولكته في الوقت ذاته، حملها رزءاً أو تعباً بسبب ما كانت تقوم به من دور جهادي في الدفاع، وذلك الدور الذي لم ينقطع لوصول الطمع الأوربي إليها، ولم يقتصر الأمر على الصراع المادي بل صاحبه صراع فكري عقائدي، بسبب اختلاف الأفكار والعقائد الواردة إليها مع الوافدين عليها، والتي تمازجت معها حتى أصبحت جزءاً من تراثها، وهذا الاختلاف مثل صراعاً حضارياً طويلاً بين الشرق والغرب، كثيراً ما تخلله صراع دموي، تتحكم فيه عوامل العقيدة وعوامل الاقتصاد، ولكنها خرجت من هذا كله بصحة جيدة، تتحلّى بألوان منتجاتها وأعمالها، فاللون الأحمر للعناب والمرجان، أحمر نجيع الجهاد عن العقيدة والوجود إلى جانب سنابل القمح، كل هذا وغيره جعلها زاهية في ذاكرة التاريخ إلى الآن.

ومن ولاتها زمن بني زيري، المنصور بن علناس الذي ثار عليه (البار) وإلى قسنطينة فخلفه وعين بدلاً منه أبا يكني بن محمد بن القائد حماد، ثم ثار أبو يكني على المنصور سنة ٤٨٧هـ/ وكان ذلك باتفاق مع تميم بن المعز الذي أمده بجيش من عنده بقيادة "أبو الفتح"، وتبين بأن أبا المكني كان متواطئاً مع المرابطين^(١٠)، ولكن في هذه الفترة جاء الموحدون وخلصوها مما منيت به من صراع ولاية الزيريين مع بعضهم بعضاً.

وحظيت المدينة بموت السلطان أبي زكريا الحفصي فيها، سنة ٦٤٧هـ/ ودفن بجامعها ثم نقلت رفاته إلى قسنطينة. لكن قبل موته استقبل بيعة يغمراسن عن طريق والدته التي أتت بنفسها وقدمت البيعة له سنة ٦٤٠هـ/^(١١) وعين بعد بيعته حاكماً لتونس، أبا علي عمر بن أبي موسى والياً على عنابة ثم نقله في نفس السنة والياً على

المهدية، وأضافها إلى ابنه زكريا مع جملة من أضاف إليه، من الجزائر، وبجاية، وقسنطينة، والزاب.

ولما جاء السلطان أبو يحيى أبو بكر (٧١٠ - ٧٤٧هـ / ١٣١٠ - ١٣٤٦م) (٦٢) عين أولاده على المدن الرئيسة لدولته، فعين الفضل - ابنه - على عنابة، ولكنه التحق بعدها بتونس سنة ٧٤٩هـ - ١٣٤٨م. وبفضل تعاون قبيلة الكعوب معه، خلصتها من طاعتها للسلطان أبي الحسن المريني، وأعلنت ولاءها له.

وتميزت المدينة بنشاط اقتصادي ملحوظ يعود إلى خصوبة تربتها ووفرة محاصيلها، وتوفر الثروة الحيوانية فيها، وما نجم عنها من مصنوعات جلدية وألبسة صوفية، وسمن ولبن إلى جانب العسل، وإلى الثروة السمكية والإسفنج، والثروة المعدنية من نحاس وحديد ورخام، ومرجان الذي يعد من أجود الأنواع، ويحدثنا ياقوت في معجمه عن كيفية صيده، فيقول: "يتخذ لاستخراجه صليبا من خشب طوله قدر الذراع ثم يشد طول ذلك الصليب حجر، ويشد فيه حبل، ويركب صاحبه في قارب ويبعد عن الساحل قدر نصف فرسخ، وفي مقر تلك المسافة ينبت المرجان، فيرسل ذلك الصليب في الماء إلى أن ينتهي إلى القرار، ثم يمر القارب يمينا وسمالا ويستدير إلى أن يعلق المرجان في ذوائب الصليب ثم يقتلعه بقوة ويرمي به إليه، فيخرج وقد علق به ذلك الصليب جسم مشجر إلى القصر، وما هو أغبر الفشر، فإذا حل عنه قشره، خرج أحمر اللون فتفضله الصنائع..." (٦٣).

أما ابن حوقل، فبعد ما وصفها بالاعتدال في حجمها، وبمقدرتها الاقتصادية واصفاً خصب تربتها ومنتجاتها حيث يقول: "...فيها خصب ورخص موصوف، وفواكه وبساتين قريبة، وأكثر فواكهها من باديتها، والقمح بها والشعير في أكثر أوقاتها مما لا قدر له... يزرع بها الكتان... وبها من العسل والخير والميسر ما تزيد به على مائدها من البلاد المجاورة لها... وأكثر سوائمهم البقر، ولهم إقليم واسع، وبادية وحوزة فيها

نتاج كثير...^(٦٤). وفي هذه الفترة يزورها المقدسي ويشير إليها بسطور قليلة، فيقول: "وبونة بحرية سورة بها معادن حديد شربهم من الآبار..."^(٦٥).

أما البكري الذي زارها في الربع الأخير من القرن الخامس للهجرة، الحادي عشر الميلادي، بعد وصف ابن حوقل لها بقرن، يقول: "مدينة بونة أولية، وهي مدينة افشتين العالم بدين النصرانية وهي على ساحل البحر في نشز من الأرض منيع مطل على مدينة سبوس وتسمى اليوم مدينة زاوي وبينها وبين المدينة الحديثة نحو ثلاثة أميال، ولها مساجد وأسواق وحمام، وهي ذات ثمر وزرع، وقد سورت بونة الحديثة بعد الخمسين وأربعمائة. وفي بونة الحديثة بئر على ضفة البحر منقورة في حجر صلد يسمى بئر النثرة، منها يشرب أكثر أهلها وبغربي هذه المدينة ماء سائح يسقي بساتين وهو منتره حسن. ويطل على بونة جبل زغزوغ وهو كثير البرد/ ومن العجائب أن فيه مسجداً لا ينزل عليه شيء من ذلك الثلج، وإن عم الجبل كله. ومدينة بونة بريّة وبحرية، كثيرة اللحم واللبن والحوت والعسل، وأكثر لحمانها البقر إلا أنها يصح بها السودان ويسقم اليبضان، حول بونة قبائل كثيرة من البربر مصمودة وأوروبية وغيرها، وأكثر تجارها اندلسيون، ومستخلص بونة جباية بيت المال عشرون ألف دينار"^(٦٦).

ويصفها أبو الفداء في القرن الثامن الهجري نقلاً عن ابن سعيد المغربي الذي يقول: "...بها من أنواع الفاكهة ما يعم أهلها، وأثر فواكهها، من بادية لها، وأقمح وأشعير سي أوقات الإصابات... كثير جداً، ويزرع بأرضها الكتان، والعسل بها موجود ممكن، وكذلك السمن، وأكثر سوائمهم البقر، ولها أقاليم وأرض واسعة..."^(٦٧).

ويصفها الحسن بن الوزان في وقت متأخر عند مروره منها فيقول: "...تشتمل مدينة عنابة على ٣٠٠٠ منزل، وسكانها طيبون... وفي الجانب الشرقي منها قسبة عظيمة، محصنة تحصيناً بناها ملوك تونس، ويسكنها السولاة، وتمتد الأراضي

المزروعة خارج المدينة إلى مسافة ٤٠ ميلاً طولاً، ٢٥ ميلاً عرضاً وهذه الأراضي صالحة للحبوب....، وتملك كثيراً من البقر والضأن، وتنتج هذه المواشي من السمن كميات يبيعها أصحابها في سوق عنابة بثمن قليل لوفرتها. وكذلك الأمر بالنسبة للقمح، وتأتي سفن عديدة كل عام من تونس وجربة وسائر موانئ القطر، وكذلك من جنوة لتشتري القمح والسمن من عنابة، حيث تستقبل استقبلاً حسناً...^(٦٨).

نستنتج من وصفها عند مختلف المؤرخين في مختلف الأزمنة ما كانت تزخر به من إمكانيات اقتصادية وفيرة، جعلها محط الأنظار، وجعل للعامل الاقتصادي تأثيراً كبيراً في حياتها، مما انعكس على علاقاتها مع جيرانها في المجالين السياسي والعسكري، وارتبطت بعدة اتفاقيات ومعاهدات سبق الإشارة إليها، فبالإضافة إلى ملاءمة مينائها للملاحة، خصب تربتها ووفرة إنتاجها من المحاصيل والثروة الحيوانية والسمكية، وهذا ما أشار إليه صاحب الاستبصار بقوله: "وهي أنزه البلاد وأكثرها لحماً وعسلاً وحثاً"^(٦٩).

فقد كان لها بركة واسعة، تكثر فيها الأسماك من مختلف الأنواع، إلى جانب ما ذكر من الأنعام ومنتجاتها، والخيول ذات النوعية الجيدة، فقد بلغت جبايتها في إحدى السنوات — كما ذكر البكري — عشرين ألف دينار، أودعت في بيت المال. على أن وفرة الإنتاج لم تكن موجودة دائماً بسبب ما تعرضت له المدينة من كوارث طبيعية عند انحباس الأمطار، أو انتشار الأوبئة التي كانت تتعرض لها بسبب انفتاحها على الخارج، وقدم العديد إليها من أجناس متعددة ومناطق مختلفة، وربما حملوا إليها الأمراض، إلى جانب رطوبة الجو وكثرة البرك فيها، مما دعا البكري إلى أن يقول عنها لا يصح فيها البيضان، ويصح بها السودان^(٧٠)، إلى جانب الهجمات الخارجية المستمرة التي أشرنا إليها، وما ينجم عنها من حروب وتدمير، وقتل وسبي، وتخطف يتبعه خوف واضطراب وعدم استقرار، كل هذا يؤثر في السكان، وبالتالي يضعف الإنتاج، إلى جانب الغزوة الهلالية التي اجتاحتها، ولعل الهلاليين بطبيعتهم البدوية

الرعوية، قد أثروا سلباً في الحياة الزراعية وخاصة في سهل عنابة، وانعكس هذا على العمران، وهذا ما أشار إليه الإدريسي بقوله: "ولها أقاليم وأرض واسعة تغلبت العرب عليها..."^(٧١). لأنهم كانوا أصحاب نجع أكثر من أي شيء آخر، ولكن فيما بعد انطلقوا للغزو في ركوبهم البحر، ومهروا في التجارة، وخاصة تجارة السلع الناجمة عن ذلك.

وكان وجودهم قد ساعد على نمو الثروة الحيوانية وزيادة منتوجاتها، فبالإضافة إلى ما ذكر من المنتجات الزراعية، كان لديها الأصواف والجلود، مما جعلها من المدن المشهورة بحياكة الملابس^(٧٢) والأقمشة ونسج الأغذية والبرانس والمعاطف والزراعي والبرادع، الأمر الذي دفع الوزان أثناء زيارته لها أن يخصص النساجين بالذكر أكثر من غيرهم، ولكن هذا لم يمنعه من ذكر صناعة السروج والأحذية والحافظات، والصناعات الجلدية الأخرى، ويبدو أن أصواف عنابة قد أخذت شهرة واسعة في هذا الوقت، من حيث جودتها وكثرة كمياتها، وكانت تسمى بأصواف قسنطينة.

وظهر عدد من الأسواق فيها عند زيارة الوزان لها، فهناك سوق الحوكة، جمع حائك ويقابله بتونس آنذاك سوق البرانسة، وسوق الحمامين ويسمى الحمامين وليس الخفافين، وسوق الدرازين، وسوق النجارين، وسوق الفخارين، وسوق الخرازين — الأساكفة — البلاعين — صناعة البلغة المسماة بتونس الغاجية^(٧٣). وغيرها من الأسواق الأخرى كسوق الحبوب، وسوق المواشي، وهما اللذان أصبحا بابين للمدينة في العهد العثماني، باب المرسى من جهة الشرق، ويؤدي إلى الميناء، وباب الغرب من جهة الغرب، ومنه تبدأ الطريق المؤدية إلى قسنطينة^(٧٤)، وقد أشار إلى أسواق المدينة دون ذكر أسمائها، البكري الذي زارها في القرن الخامس الهجري إلى جانب المساجد والحمامات^(٧٥).

وتميزت عنابة بكثرة الغابات منها، غابات جبل ايدوغ وبنى صالح والقالية وسيبوز، وقد امتازت بجودتها، واستخدمت أخشابها في الصناعات اليدوية وفي بناء

السفن، مما ساعد على نمو الأسطول الحفصي بمختلف قطعه وأنواعه واختلاف أحجامه^(٧٦).

واحتوت جبالها على معادن، كان من أبرزها معدنا النحاس والحديد، فالنحاس كان يستخرج من عين باربار لسفوح جبل ايدوغ الشمالية، أما الحديد، فتقع مناجمه في أماكن متفرقة، مثل قطع الحديد الذي يعرف الآن ببو حمزة، ومناجم مجاز الرسول، وعين أم الرخاء وحريزاز ومعجوبة^(٧٧).

وبهذين المعدنين إمتلأت أسواق عنابة، لأن الصناع كانوا يقومون باستخراجهما من المناجم وتصنيعهما، ولكن فيما بعد انصرفوا عنهما، لتوفرهما بكثرة في أسواقها وفي الأسواق المحلية في المدن الأخرى، عن طريق القرصنة.

وكان لوجود المواد الأولية، والصناعات الحرفية، والثروات الحيوانية والزراعية، تكاليف عليها من الدول الأجنبية، الأمر الذي أوجد نوعاً من التقاليد والعلاقات التجارية بين هذه الدول وأهل المدينة أخذ ينمو ويتطور حتى أصبح مكتملاً في بداية العصور الحديثة، وقد انعكس هذا التطور والخلق التجاري على السكان الذين عرفوا بالوداعة، وحسن الاستقبال لكل غريب، ومسافر كما ذكر الوزان^(٧٨).

كما انعكست الحروب على البنية السكانية سلباً وإيجاباً، فقد هاجر — كما ذكرنا — عدد من الأندلسيين إلى المدينة مارسوا الصناعة والمهن اليدوية المختلفة إلى جانب التجارة وركوب البحر الذين برعوا فيه منذ وقت مبكر^(٧٩)، وكان لنشاطهم مزايا متعددة انعكست على حياة المدينة بجميع جوانبها، عكس ما حدث لها أثناء الهجرة الهلالية، وما اتسمت به القبائل من الشدة، وممارسة الأعمال الأقل نشاطاً وتأثيراً في الميزان التجاري، لكنهم فيما بعد، أخذوا يبحثون عن فرص تتناسب معهم، فوجدوا بمهنة القرصنة وما نجم عنها من بيع وشراء خير وسيلة لهم.

أما عن الجانب العمراني المتمثل في المساجد والتي ورد ذكرها عند البكوي دون ذكر أسمائها وتواريخ بنائها، لكنه ذكر هو وصاحب الاستبصار اسم مسجد يقع على جبل ايدوغ أو (زغوغ) المطل على المدينة، واللذان وصفا موقعه بشدة البرد وتساقط الثلوج على الجبل، دون السقوط عليه^(٨٠)، كالشامة.

ويبدو أنه أسس زمن الدولة الزيرية الصنهاجية المتمثلة في حكومتى القيروان والقلعة، والذي أشرف على بنائه وتأسيسه، رجل علم وصلاح وجهاد، وهو أبو الليث البوني، من عائلة معروفة في الوسط الاجتماعي بـ (البوني) إلى أيامنا هذه، وقد اختلف في تاريخ بنائه، فالجيلالي يرى حسب ما ورد في تقييد أحد كتب الشيخ أحمد بن قاسم البوني أنه بني سنة ٤٢٥هـ/. ويشاركه في ذلك بو عبدلي الذي اعتمد هو الآخر على نفس المصدر، ويرى الجيلالي أن هندسته المعمارية شبيهة بالهندسة المعمارية التي وجدت زمن الأغالبة والفاطميين والزيريين أواخر القرن الرابع والخامس الهجريين؛ بينما يرى بورويبة العالم الأثري أن تاريخ بنائه يرجع إلى القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي.

ومهما يكن من أمر فإنه يمثل في تصميمه مسجداً ورباطاً، والرباط ملحق للمسجد من جهته البحرية، واستمر قائماً إلى أن حدث انفجار في إحدى السفن بميناء عنابة شتاء ١٩٦٥م، أدى إلى حدوث أضرار فيه، والملاحظ أنه جرى على ألسنة الناس قولاً: "البنية لأبي الليث، والشنعة لأبي مروان" وهم يقصدون بالشنعة أو الشهرة أو السمعة، حيث لا يعرف هذا المسجد الجامع في الوسط العنابي إلا بجامع أبي مروان الذي وصل إلى بونة - عنابة - سنة ٥٠٥هـ/ ١١١م، قادماً من تونس والذي أخذ يدرس فيه، وعندما توفي دفن بحجرة بجانب المنذنة، وقبره كان موجوداً أيام الاحتلال الفرنسي للجزائر^(٨١).

وهذا المسجد يبلغ طوله ٣٦,٥٠م، وعرضه ١٩,٥٠م على بيت صلاة طوله ١٩,٦٠م بني على سوارى من الرخام مجلوبة من المباني القديمة تعلوها تيجان قديمة

وإسلامية، إلا أن التيجان الإسلامية من أنواع مختلفة، تيجان ذات صف أو صفين من أوراق الاكنتس منها تحتوي على صفين من ثمانى أوراق، ومنها ما كان صفها العلوي مكونا من أربع أوراق، وصفها السفلي مكونا من ثمانى أوراق.

وما يلاحظ في صلاة جامع سيدي أبي مروان، هو أن الأقواس كلها على شكل حدوة الفرس، وترتكز على التيجان بواسطة ثلاثة عناصر معمارية، الكتف، والركيزة، والطنف، ووجود هذه العناصر الثلاثة بين الأقواس والتيجان يرجع إلى أن السواري المستعملة جلبت من مبانٍ قديمة، ولم يكن ارتفاعها كافياً بالنسبة إلى الجامع.

والمحراب — بيت الصلاة مشكاة نصف دائرية القعر، تعلوها قبة نصفية فقدت زخرفتها كلها، وعلى يمين ويسار المحراب نجد ساريتين موضوعتين على مقعد إحداهما مزينة بتاج إسلامي الشكل، وكان لجامع سيدي أبي مروان وقت الاحتلال قبتان موضوعتان في طرفي الأسكوب الأوسط العمودي لجدار المحراب فهدمت هاتان القبتان في عهد الاحتلال، ولكن هناك صورة عنهما.

فهناك قبة موجودة عند ملتقى الأسكوب الأوسط لبيت الصلاة والرواق الجنوبي للصحن.

إن هذه القبة تتكون من الخارج من قاعدة مربعة يعلوها حزام أسطواني الشكل ثم القبة بذاتها مزينة بأخاديد تشكل معرجات، فلم توجد زخرفة من هذا النوع إلا في بنائين مغربيين، أحدهما قبة جامع القرويين بفاس، وقبة بين القهاوي بسوسة.

أما القبة من داخلها فترتكز على الجدار الذي يفصل بيت الصلاة عن الصحن من جهة الجنوب، ومن جهة الشمال على مجموعتين من السواري كل مجموعة تحتوي على ثلاث سواري، وفقدت المجموعتان من السواري اللتان كانتا ترتكز عليهما القبة الموضوعة أمام المحراب، وفوق القاعدة المربعة، نجد أربعة عقود زوايا موضوعة كما يدل عليها اسمها في الزوايا الأربع للقاعدة، تسمح بالمرور من القاعدة المربعة إلى الحزام الأسطواني.

أما القبة في ذاتها فكانت على ما يبدو مزينة بأخاديد، ولجامع سيدي أبي مروان
مئذنة مبنية في الزاوية الشمالية الشرقية للصحن، بجانب ضريح أبي مروان.
وفي أيامنا هذه تشتمل هذه المئذنة على خمسة بروج موضوعة بعضها فوق
بعض.

إن ارتفاع البرج الأول اليوم يساوي ١٧,٥٠م، وطول ضلع قاعدته المربعة ٤,٦م.
وينتهي هذا البرج بسطحية محاطة بجدار تعلوه شرفات، ونصعد إلى هذه السطحية
بسلم عرضه ٩٠سم، يدور حول نواة مركزية غير خاوية ويؤدي إلى بيت صلاة
صغيرة، نرى فيها محراباً ذا مشكاة نصف دائرية القعر عرضها ٧٦سم، وجوفها
٦٢سم، وارتفاعها ٢م. والملاحظ أنه لم يوجد بيت صلاة من هذا النوع إلا ببرج خلف
سوسة الذي يرجع تاريخه إلى القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، فله شكل
ثماني الأضلاع ارتفاعه ٢م، يعلوه برجان، أحدهما أسطواني الشكل، والثاني على
شكل مخروط، وهذا الشكل هو شكل المئذنة حالياً، ومن بروجها الخمسة لم يرجع إلى
عهد الزيري إلا البرج السفلي، وقد أجريت ترميمات للمسجد، وعثر في زماننا على
دنانير ذهبية ترجع إلى عصر المرابطي^(٨٢).

وفي العهد الحفصي أيام السلطان أبي زكريا بن اسحاق، شيد حصن القصبة فوق
أكمة مقابلة للمدينة ومطلّة على الناحية الجنوبية منها والتي يبلغ ارتفاعها (١٠٥م)
وكان يحيط بهذا الحصن سور منيع يبلغ طوله (٣٥٠م)، وفي داخله قصر متين البناء،
وأدخلت الحامية الجنوبية عدة إصلاحات في الحصن عندما كانت تقيم به أثناء الاحتلال
الإسباني للمدينة، ونظراً لأهميته الحربية، فقد اتخذه الأتراك العثمانيون مكان استقرار
للدفاع عن المدينة، وكان عدد الحامية العثمانية فيه المسماة بـ (النوبة) ما بين ١٠٠
— ٥٠ شخصاً، وليس كما تدعي المصادر الأوربية، بأن الإمبراطور شارل كان هو
الذي بناها سنة ٩٤٢هـ/١٥٣٥م، قصد توطيد احتلاله للمدينة^(٨٣).

وعمل جورج مارسه دراسة علمية على جامع سيدي أبي مروان، وأنهى مقالته مبدئياً إعجابه بالمسجد والمدينة التي حوت آثار الوثنية والمسيحية والإسلامية الدالة على إشعاع الفن الإسلامي الأفريقي^(٨٤).

ومن الناحية الثقافية: فقد نمت في بونة - عناية - بذور ثقافية ترجع جذورها إلى القرن الرابع قبل الميلاد، حيث كانت المركز الديني الثاني بعد قرطاجنة، وكان أبرز مفكرها القديس أوغسطين، ونظراً لأهميته، سميت المدينة باسمه، ومارست المدينة على مدى التاريخ دوراً هاماً من التواصل الثقافي، مثلما مارسته في الميدان التجاري، وكان من أبرز من قدم إليها بعد قيام ثورة الربض، يحيى بن يحيى بن كثير، المكنى بأبي عيسى، أصله من البربر من بني الليث ولذلك سمي بـ (الليثي) وهو من قرطبة، روى الحديث عن زياد بن عبد الرحمن، وزياد روى عن مالك بن أنس.

تفرغ للتدريس في جامع قرطبة، وله عدة أقوال وممارسات تتم عن أساليب تربوية جيدة منها، سأله مرة وزير من الوزراء عن مسألة دون الالتزام بقواعد المجلس، فأنكر عليه ذلك قائلاً له: "إذا جلست مجلس السائل والمجيب أجبته بما أردت".

وكتب إليه أمية بن الحكم بن هشام، يسأله حنث جرت في مجلس راحة له، فكتب إليه: "لا ينبغي الأمير أن يسأل العلماء عن ما خطر في مجلس، مما لا ينبغي أن يخرج عنه فإنه أزين به".

وقدم طالب من طلاب العلم من أهل قابس، تبدو عليه خشونة البداوة والجهل؛ على مجلس ابن القاسم، وكان يحيى يجلس في مجلسه، فوبخه ابن القاسم على تصرفاته، ومن ضمن ما قال له، أنه لا يأتيني أحد من ضيعتكم عليه سمات العلم، فلما خلا المجلس، قال له يحيى: "يا أبا عبد الله كان منك اليوم إلى القابسي شيء أنكرته، لو كان لا يأتيكم إلا العالم، ما أتاكم أحد، ولكن يأتي الجاهل فيتعلم ومن لا يحسن فترفق به حتى يحسن". فقال له ابن القاسم: "لست أعود إلى مثلها إن شاء الله".

ويبدو رحمه الله أنه كان يرى ممارسة التدريس وبناء المؤسسات التعليمية، أهم من مناحي الحياة، لذا بني المسجد عند قدومه إلى المدينة، أما متى قدم وما الأسباب لقدمه، فإننا لم نحصل على ما يفيد، ويبدو أنه توفي في قرطبة عن عمر يبلغ اثنين وثمانين عاماً في مدينة قرطبة، ودفن في مقبرة بني عباس إحدى مقابرها^(٨٥).

أما أبو عبد الملك مروان بن محمد، ويسميه المؤرخون أحياناً أبو مروان عبد الملك، بن علي الأسدي القطان القرطبي المعروف بالبوني، نسبة إلى مدينة بونة - عنابة - ويكنى بـ (محي الدين)، سكن مدينة قرطبة، وفيها روى عن أبي محمد الأصيلي والقاضي أبي المطرف عبد الرحمن بن محمد بن فطيس وغيرها، وارتحل إلى المشرق، فأخذ هناك عن أبي محمد الأصيلي والقاضي أبي الحسن القابسي، لازم أبا جعفر أحمد بن نصير الداودي مدة خمس سنين، وأخذ عنه معظم تأليفه، وما عنده من علم رواية ودراية، وكرس أبو عبد الملك نفسه لخدمة العلم، فمارس التأليف والتدريس، ألف مختصراً لكتاب موطأ مالك، واعتمد عليه الناس وعلى الموطأ ذاته، ومن تحدث عنه مادحاً إياه أبو القاسم بن محمد، فقال: "لقبته بالقيروان وشهد معنا المجالس عند أهل العلم بها، وكان رجلاً حافظاً ناقدًا في الفقه والحديث، وقرأت عليه بعض تفسير الموطأ، وأجاز لي سائرته، وسائر ما رواه..."

وشهد له الكثير من العلماء بغزارة علمه خاصة في الفقه والحديث، حيث قام بتدريسها في المسجد الذي تسمى باسمه وتوفي سنة ٤٣٩ هـ ودفن بحجرة قرب مئذنة الجامع، وقبره كان موجوداً أيام الاحتلال الفرنسي للجزائر.

من مؤلفاته في أسرار الحروف، رسائل الشهود في الحقائق على طريقة علم الحروف، شرف الشكليات وأسرار الحروف والورديات، خصائص السر الكريم في فضائل بسم الله الرحمن الرحيم.

وله كتب في الأذكار والأدعية والتصوف منها، التوسلات الكتابية والتوجهات العطائية، قوت الأرواح مفتاح الأفراح.

وله في النجوم، رسالة في أحكام النجوم، وله شرح (ن والقلم) الرسالة النونية في الحقيقة الإنسانية. ومن أبرز مؤلفاته: شمس المعارف ولطائف العوارف، حقق وطبع، ويحوي أربعة أجزاء، وهو شبه موسوعة في السيمياء، جمع فيه صاحبه ما تفرق في سائر كتله، وقد انعكست ثقافة المؤلف بما فيها من جوانب وألوان على هذا الكتاب.

وإن دلت هذه المؤلفات على شيء، فإنما تدل على خصوبته الفكرية، وجديته في العمل، وعلى مزاجه المتفائل، وإقباله على الحياة، عرفت مؤلفاته بالتخصيص إلى جانب الشمولية والإحاطة في المسائل المطروحة^(٨٦).

أحمد بن محمد بن علي العنابي، المكنى بأبي العباس، نحوي، مقرئ، رحل إلى المشرق، واستقر في القاهرة مدة، لازم أثناءها أبا حيان النحوي، وقرأ عليه النحو وأتقنه وخاصة الثمان، وقام على خدمته إلى أن توفي، وبعد وفاته غادر القاهرة متوجهاً إلى دمشق، نزل بالخانقاه الأندلسية، وولي مشيخة النحو بالمدرسة القاهرية، وتصدر للتدريس بالجامع الأموي بدمشق، قال عنه ابن الجزي: "وانتفع به الناس العربية"، وقرأ عليه القراءات، عمران بن إدريس الجلولي، وأحمد البانياسي، وشعبان الحنفي، توفي سنة ٧٧٦هـ/١٣٧٤م^(٨٧).

علي بن عبد الله الانصاري البوني المكنى بأبي الحسن، وهو من فقهاء المالكية، عرف بالدراية والعلم والأمانة، والحفظ والصيانة، مارس القضاء في بجاية، لم نعثر على تاريخ ومكان وفاته، لكنه من أهل القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي^(٨٨).

البوني، الوليد بن إبان بونة البوني الأصهباني أبو العباس، مفسر محدث حافظ، ارتحل عدة رحلات، وحدث عن أحمد بن العزات الرازي وطبقته، وعنه أخذ

الطبراني وغيره ممن هم من أصل أصبهاني، توفي بأصبهان سنة ٣١٠هـ/٩٢٢م.

من مؤلفاته: تفسير القرآن، المسند المعلل في الحديث^(٨٩).

وهناك العديد من العلماء ممن استوطنوا المدينة وأغنوا إنتاجها الثقافي ابتداءً بأبي عبد الملك مروان من أصحاب القرن الخامس الهجري إلى القرن التاسع، وواصلت المدينة رحلتها الثقافية حتى العصر الحديث الذي كان من أبرز علمائه أحمد ساسي ١٠٦٣ - ١١٣٩هـ/١٦٥٢ - ١٧٢٦م، وما يهمننا منه أرجوزته التي ألفها في ثلاثة آلاف بيت، ثم اختصرها إلى الألف وسماها بالآلفية، وفيها يرجز ما ذكره علي بن فضلون من علماء البلدة الواردين عليها من المشرق والمغرب منذ القرن الخامس إلى القرن التاسع الهجري، وقسم منظومته إلى أبواب وفصول، الباب الأول في ذكر علماء وصلحاء بونة حرسها الله تعالى آمين، الذين ذكرهم العلامة الدرخ (علي بن فضلون) ممن كان في البلد أو قريباً منه، يقول:

أسأل ربي الحفظ والاتقان	بالعارف القطب أبي مروان
نور القلب شارح الموطأ	وبين أهل العلم ما تغطي
وقال بعض شرح (البخاري)	وليس ذا بعجب ياقاري
ذكره عياض والخلواني	وابن سليمان أباخلاني

وقد أشاد بمترجميه وإنتاجهم، فذكر منهم ابن رحمون الذي رحل إلى تلمسان، وأخذ عن الإمام ابن مرزوق، باعتباره النموذج الأول من نماذج العلماء الواردين في منظومته، وفي ذلك يقول:

وبابن رحمون أي الفضلي	محمد المعظم الجلي
وهو الذي رحل لابن مرزوق	أخذ عنه العلم فهو مصدوق

وأما النموذج الثاني، فيتمثل بابن زكريا الكسيلي يقول فيه:

وبأبي زكريا الكسيلي العلم العلامة الجليلي
مؤلفاته غدت عديدة كثيرة نافعة سديدة
تزيد في العدد فوق الأربعين نثراً ونظماً رشقت قلب اللعين
وقبل أن ينتهي من ذكر تراجم علي بن فضلون الذي ذكرهم في منظومته، أشار
إلى أوصافهم ومكاناتهم فقال:

فبعضهم في المصر شعره وشى وبعضهم فاق على المراكشي
وبعضهم في لغة قد نبغ ولكرامة الرجال بلغ
وبعضهم قاض وبعضهم مفتي وبعضهم مدرس ذو وقى
وبعضهم ألف في الفرائض ففاق فيها صنع كل رائض
ولابن فضلون بذا منامه علابها في مصر مقامه
حاصلها أنهم من أهل علم ونبل وتقى لا جهل

ثم يعقب - الناظم - على هذه الأبيات، بمقارنة المترجمين مع معاصريه، فيقول:

والآن يسكنون فوق المنبر لا يقبلون النصح حتى من يرى
لم يبق فيها ناثر أو شاعر يحذروا الله ذوي المشاعر
وفي العلوم أفلسوا لأنهم من كسبها قد أفلسوا
ليت الجدود نظروا إليهم ولو رأواهم لبكوا عليهم

وقبل أن ينتهي من مترجمي علي بن فضلون، ويعقب عليهم بمترجميه، نبه على
ذلك بقوله:

وبابن فضلون على زين الخلف وهو الذي ذكر كل من سلف

والأرجوزة طويلة تبلغ ألف بيت كما ذكرنا، ولذا اقتصرنا على هذه المقتطفات والمختصة^(٩٠) بعلماء المدينة، ونظراً لعدم حصولنا على مؤلف ابن فضلون وما فيه من تراجم أوردنا هذه المقتطفات لتعطي صورة ولو موجزة عن حال المدينة الثقافي في فترات زمنية متعاقبة.

وبعد هذه لقطات من تاريخ هذه المدينة بمختلف العصور ذكرت بدون إطالة، لعدم اتساع المجال، أملين من المؤرخين العرب، أن يسهموا في نشر تراثها وتراث غيرها من المدن العربية الإسلامية، وأبرز أدوارها في مختلف ميادين الحياة، مظهرين الإيجابيات لنقتدي بها، والسلبيات لتجنبها ولتكون لنا درساً وعظة.

نتائج البحث

- ١- بيّنَ البحث سبب تسمية المدينة، وأسباب تغييرها في مختلف المراحل التاريخية.
- ٢- بيّنَ أهمية موقعها من الناحية العسكرية والتجارية.
- ٣- بيّنَ أهميتها الاقتصادية، بما تحويه من منتجات زراعية أو حيوانية أو معدنية.
- ٤- بيّنَ أثر الاقتصاد وانعكاسه على المجتمع، مما أثر في البنية السكانية، وجعلها مزيجاً من عناصر متعددة، جاءت إلى المدينة بدوافع وأهداف مختلفة، مما أكسبها حيوية ونشاطاً، وبقي ميزانها التجاري قائماً رغم ما عانت من حروب وويلات، لم تؤثر في اقتصادها، إلا في فترات وجيزة، عند القحط وانتشار الأوبئة.
- ٥- بيّنَ صراع القوى عليها، وجعله محاور، محور الشمال، ومحور الجنوب، مبرزاً أهمية هذا الصراع من الناحية الفكرية والعقائدية، ومن ناحية المادية الاجتماعية.
- ٦- تأثرها في السلب أو الإيجاب في عملية القرصنة، وشعور الأمة مشرقها ومغربها بالمحن والنكبات دون التمييز بينها، الأمر الذي دعاها أن تساعد بعضها بعضاً بقدر استطاعتها، وبالوسائل المتاحة لها آنذاك.
- ٧- دورها في المراقبة والتعليم، قدوم عدد من العلماء والأجلاء إليها، خاصة من الأندلس ممن عملوا على بناء المؤسسات الدينية العلمية، ومزاولة التعليم فيها، كمسجد سيدي أبي مروان.
- ٨- تفردا عن غيرها بوجود المرجان في سواحلها، مما أدى إلى تكالب دول الفرنجة عليها لكسب استثماره وتسويقه.
- ٩- موقف الأهالي المشرف في مناصرة عروج وأخيه ضد الملك الحفصي، الذي باع نفسه للأسبان، ووضعها تحت تصرفهم، مما دفعهم للدفاع عنها رغم ضعف إمكانياتهم.

الهوامش

١- الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، ط بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ج٤، ص١٥٩، ابن منظور، لسان العرب، ط - دار صادر - بيروت، ١٩٥٧م، ج٥، ص٦٣١، مادة (عنب).

٢- نفس المصدر والصفحة.

3- Grand Larousse Encyclopédique-Art (Jujubier)

٤- الدمشقي، أبو البقاء عبد الله بن محمد البدري المصري، نزهة الأنام في محاسن الشام، ط - القاهرة ١٣٤١هـ، ص٢٧٠.

٥- البكري، أبو عبيد الله عبد العزيز، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ط - مكتبة المثنى - بغداد، د - ت، ص٥٤ - ٥٥.

٦- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، تاريخ ابن خلدون، المسمى بـ (العبر وديوان المبتدأ والخبر...) ط - بيروت، د - ت، ج٦، ص٢٣، ولقد ورد التعبير (ولد العناب) وصحيحه (بلد العناب).

7- Shaw (Th), Travels or observation Relating to several Parts of Barbary and the Levant (Oxford - M. DCCC XXX. VIII "1838" P95).

٨- سرهنك - اسماعيل، حقائق الأخبار عن دول البحار (مصر ١٣٢١هـ) ج١، ص٣٥٦.

٩- عبد الحق صفي الدين عبد المؤمن البغدادي، مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ت - علي محمد البجاوي، ط - دار المعرفة - بيروت -

ط (١) ١٣٧٢هـ/١٩٥٤م، ج ١، ص ٢٣١ — ٢٣٢.

10- Luis Kesch: **Hippone à travers les siècles** (Bull. De l'Ac. D. Hippone) no 38: 1961.

١١- البكري، المغرب... ص ٥٤.

١٢- ابن خلدون، العبر... ج ٤، ص ١٨٧. أبو دياك، صالح محمد فياض، الوجيز في تاريخ المغرب والأندلس، من الفتح إلى بداية عصر المرابطين وملوك الطوائف، ط — لبنان. ١٩٨٨م، ص ١٤٤، ص ٤١٦.

١٣- الكعك، عثمان، عناية قبل الإسلام، الأصالة، السنة (٥) العدد (٣٤ — ٣٥)، الجزائر — ١٩٧٦، ص ٤٦.

١٤- شينيتي — بشير، هيبون القديمة، الأصالة، (س/٥)، (ع/٣٤ — ٣٥)، الجزائر — ١٩٧٦م، ص ٢٦.

١٥- ابن منظور، لسان العرب، ج ٢، ص ٢٠٥ مادة (عنب).

١٦- البكري، المغرب، ٥٥.

١٧- يفرق البكري بين المدينة القديمة وهي مدينة (أفشتين) أي (القديس أغسطين) العالم بدين النصرانية وهي على ساحل البحر في مرتفع من الأرض منيع ويسمىها، زاوي، وبين مدينة جديدة بنيت على بعد ثلاثة أميال من السابقة، وسميت (بونة الجديدة)، وقد سورت بعد سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م، (شيخ الربوة) في (نخبة الدهر) ص ٢٣٥، لا يعترف إلا بهذه المدينة ويعتبر أن بناءها كان بعد سنة ٤٥٠هـ، راجع، البكري، المغرب... ص ٥٤ — ٥٥، شيخ الربوة، شمس الدين الأنصاري الدمشقي، نخبة الدهر في عجائب البحر، ط — المتن، بغداد، د — ت، ص ٢٣٥.

- ١٨- ابن خلدون، العبر... ج٦، ص ١٧٩ - ١٨٠.
- ١٩- أبو الفداء، اسماعيل بن محمد بن عمر، تقويم البلدان، ط - دار الطباعة السلطانية، باريس سنة ١٨٤٠م، ص ١٤١.
- ٢٠- البكري، وصف المغرب... ص ٥٥.
- ٢١- ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي، صورة الأرض منشورات - دار مكتبة الحياة - بيروت، ١٩٧٩م، ص ٧٧.
- ٢٢- مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، ت - سعد زغلول عبد الحميد، ط - دار النشر المغربية، سنة ١٩٨٥، ص ١٢٧، المقدسي، محمد بن أحمد، أحسن التقاسيم، نشر - غازي طليمات، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي - دمشق ١٩٨٠م، ص ٢٠٨، البكري، وصف المغرب... ص ٥٤ - ٥٥، الكعك، عنابة قبل الإسلام، الأصالة، ص ٤٧.
- 23- Braudel, La Méditerranée et Le Monde Méiterranéen à l' époque de Philippe II, Paris 1949, P. 83; Sahw, Op. Cit., P. 97.
- 24- Alazard, Bencheneb, Boyer et autres, Algérie (Paris, S.D) chapl: p.26.
- ٢٥- ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٧٧.
- ٢٦- البكري، المغرب... ص ٥٥.
- ٢٧- جوليان - اندري، تاريخ افريقية الشمالية، تعريب - محمد مزالي، البشير سلامة، تونس ١٩٧٨م، ج ٢، ص ١٥٠، الحيلالي - عبد الرحمن، مسجد سيدي بومروان العتيق بعنابة، الأصالة (س/٥)، (ع/٣٤ - ٣٥)، الجزائر ١٩٧٦م، ص ١٩٤.
- ٢٨- أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ١٤١.

٢٩- الوزان، الحسن بن محمد الزياني المعروف بـ (ليون الأفريقي) وصف أفريقيا، ترجمة - عبد الرحمن حميدة، ط - الرياض، سنة ١٣٩٩م، ص ٤٣٣.

30- Ch. André Julien, Histoire de L'Afrique du Nord (Paris 1966) 1, p.82.

٣١- المقدسي، أحسن التقاسيم، ط - لندن، ١٩٠٦م، ص ٢١٦ - ٢٢٦، البكوي، المغرب.. ص ٥٤ - ٥٥.

٣٢- ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٧٧.

٣٣- البكري، المغرب... ص ٥٥.

٣٤- نويهض - عادل، معجم أعلام الجزائر، منشورات المكتب التجاري، ط (١) بيروت ١٩٧١م، ص ٢٨ - ٣٠، وعن زاوي، راجع، ابن خلدون، العبر، ج ٦، ص ١٧٩ - ١٨٠.

35- L. Cardaillac: Morisques en Provence, dans M. de Epalaza-R. Petit, Op. Cit., p:94.

٣٦- ابن خلدون، العبر، ج ٤، ص ٤٦، الجيلالي - عبد الرحمن محمد، تاريخ الجزائر العام، ط (٢)، الجزائر، بيروت، ١٣٨٤هـ/ ١٩٧٥، ج ١، ص ٢٩٣.

٣٧- الوزان، وصف أفريقيا، ص ٤٣٣.

٣٨- لقد كانت بطون دريد من أعز بطون الأثبيج وكانت مواطنهم ما بين بلد العنلاب وقسنطينة، واستوطن المدينة نفسها بنو مرداس من بني هلال والكعوب وكذلك (عوف) من بني سليم هذا مع العلم أن سكانها قبل الهجرة الهلالية كانوا - خاصة زمن البكري - من كتامة ومصمودة وولهاصة وأوربة، ويبدو أن عوف قدمت إلى المدينة قادمة من تونس في القرن الثامن للهجرة. راجع، ابن خلدون، العبر، ج ٦، ص ٣٣، الملي - محمد مبارك الهلالي، تاريخ الجزائر

- في القديم والحديث، الجزائر، د - ت، ج ٢، ص ١٧٨.
- ٣٩- الادريسي، نزهة المشتاق، ط - بريل، ١٩٦٨م، ص ١١٦ - ١١٧.
- ٤٠- الملي، تاريخ الجزائر، ج ٢، ص ١٧٨.
- ٤١- شيخ الربوة، نخبه الدهر، ص ٢٣٥.
- ٤٢- ابن جبير، رحلته، ط - ليدن، سنة ١٩٠٧م، ص ٣٠٧ - ٣٠٨.
- ٤٣- لم نعرف أنه ترك له عقباً في غنابة أم لا، عنه وعن غيره من الأندلسيين،
- L. Cardaillac: Morisques en Provence, dans M, de Epalaza-R. Petit, Op. Cit., p:94.
- ٤٤- جوليان، تاريخ أفريقية الشمالية، ج ٢، ص ١٥٢ - ١٨٢ وما بعدها.
- ٤٥- الملي، تاريخ الجزائر، ج ٢، ص ٣٩٣.
- ٤٦- العبدري، أبو عبد الله محمد بن محمد الحيجي، رحلة العبدري، ت - محمد الفاسي، ط ٢ - الرباط، د - ت، ص ٣٧، عن المنظومة، ص ٢٨١ بيت رقم ٢٨ من القصيدة.
- ٤٧- الملي، تاريخ الجزائر، ج ٢، ص ٢٦٥.
- 48- Julien, Op. Cit: 11,p.123.
- ٤٩- جوليان، تاريخ أفريقية الشمالية، ص ١٦٩، الملي، تاريخ الجزائر، ج ٢، ص ٢٦٥.
- ٥٠- ابن خلدون، ج ٢، ص ٣٩٩ - ٤٠٠.
- ٥١- نفسه، ص ٣٩٩.
- ٥٢- نفسه، ص ٤٠٠.

٥٣- كانت الحملة رداً على مهاجمة غزاة البحر المغاربة لتوريبيلانكا
Torreblanca، راجع، الملي، تاريخ الجزائر، ج ٢، ص ٣٩٣.

٥٤- الوزان، وصف أفريقيا، ص ٤٣٣ - ٤٣٤.

55- Peyssonnel Des Fontaines: **Voyages dans la Régence de Tunis et d'Alger**, Publiée par M. Dureau de la Malle, Gide, Paris, 1838, T. 11, p:219.

٥٦- ابن انسراج محمد بن محمد الأندلسي، **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**، تونس ١٩٧٠م، ج ١ القسم (٤) ص ١٤٦.

٥٧- أرسل المركيز موندخار رسالة إلى الإمبراطور شارلكان في ٢٩/٨/١٥٣٥م، يصف له وصول الأسطول إلى عنابة الذي وصلها بعد (٥) أيام من وصول دون الفارو، والرسالة طويلة، يشير فيها إلى ترك، (٢٠٠) جندي في القصر و (٦٠٠) جندي في المدينة، عنه راجع، مدني - أحمد توفيق، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانية، ط (٣) الجزائر ١٩٨٤م، ص ٢٣٩ وما بعدها.

٥٨- لقد أشار معظم جغرافيين العرب إلى غناها بمعادن الحديد (معجم البلدان، ج ١، ص ٥١٣، الإدريسي **نزهة المشتاق**، ص ١١٧، ابن حوقل، ص ١٤، أبو الفداء، **التقويم** ص ١٤١، **المقدس** ص ٢٢٦) وهي لازالت إلى الآن تشتهر باستخراجه من مناجم (الوينزه) ويضاف إليه الفوسفات من الكويف، والزرنيخ نم منجم كاريلاس.

٥٩- لقد تحدث (بيد روسالازار) في كتابه المؤلف في القرن السادس عشر عن بعض حملات غزاة البحر المسلمين واتجاهاتها، وهي توضيح خط السير المشار إليه آنفاً، فقد بين أن ثلاثة مراكب تابعة لأسطول (طرغد) كانت قد اتخذت قاعدتها في سهل تونس وجنوبي جربة، ففي عام ١٥٥٠م خرجت من قاعدتها لتتوقف قرب مدخل خليج نابولي حيث عملت على مراقبة مؤخرة

الأسطول الأسباني الذي تحرك نحو صقلية، وقامت المراكب الثلاثة بالاستيلاء على سفينة تموين، ثم فراقطة، ثم على مركب محمل بالحجاج إلى روما، وبعد ذلك انفصل أحد المراكب وعاد إلى جربة، بينما تابع المركبان طريقهما نحو الشمال إلى قرب مصب التبير فجيزة ألبه، إلا أن واحدا اضطر للعودة، فلأتى عنابة، ومنها إلى الجزائر حيث باع غنيمته، أما المركب الثالث المتبقي فقد تابع وحده، وغزا كورسيكة، واتجه إلى إسبانية، ثم عاد إلى بنزرت عن طريق سردينية فعنابة - وبعد ذلك إلى الجزائر. راجع:

Hispania Vientrix, Medina de Lcampo. 1552 (d'après Braudel. P.727).

٦٠- بو عبدلي - المهدي، تاريخ بونة الثقافي والسياسي عبر العصور، الأصالة، (س/٥)، (ع/٣٤ - ٣٥)، الجزائر يوليو ١٩٧٦م، ص ٢١٢ - ٢١٣.

٦١- ابن خلدون، يحيى أبي زكريا، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ت - عبد الحميد - حاجيات، الجزائر ١٩٨٠، ص ٢٠٥.

٦٢- ابن قنفذ، أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق - محمد الشاذلي النيفر، عبد المجيد تركي، ط - الدار التونسية للنشر، ١٩٦٨، ص ١٦٥.

٦٣- الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ط - دار صادر بيروت، سنة ١٩٥٧م، ج ٧، ص ١٠٦.

٦٤- ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٧٧.

٦٥- المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٢٢٦.

٦٦- البكري، المغرب... ص ٥٤ - ٥٥.

٦٧- لأبو الفدا، تقويم البلدان، ص ١٤١.

- ٦٨- الوزان، وصف أفريقية، ص ٤٣٢ — ٤٣٤.
- ٦٩- مؤلف — مجهول، الاستبصار، ص ١٢٧.
- ٧٠- البكري، المغرب... ص ٥٥.
- ٧١- نفس المصدر والصفحة، الادريسي، نزهة المشتاق، ص ١١٧.
- ٧٢- لاوزان، وصف أفريقية، ص ٤٣٣.
- ٧٣- الكعاك، غنابة قبل الإسلام، الأصالة، (س/٥)، (ع/٣٤ — ٣٥)، يوليو ١٩٧٦م، ص ٥٨.
- 74- Madame Chollet: **Bone de 1830 a 1831**, Diplome d'Etudes superieures Alger, 1952, ch.d, p.4.
- ٧٥- البكري، المغرب... ص ٥٥.
- 76- H.R.1 dris: **La Bebérie orientale sous les Zirides**, x-x 11 siecle, T.11, p,494.
- 77- Baron Bande: **L'Algerie**, T.1.M. Cholett, 5. Point, les sources minières de la province de Bone.
- ٧٨- الوزان، وصف أفريقية، ص ٤٣٣.
- ٧٩- البكري، المغرب، ص ٥٤ — ٥٥.
- ٨٠- نفس المصدر والصفحة.
- ٨١- الجيلالي، مسجد سيدي بومروان، الأصالة، (س/٥)، (ع/٣٤ — ٣٥)، الجزائر ١٩٧٦م نفس المرجع، ص ٦٨ وما بعدها.
- ٨٢- بوربيه — رشيد، غنابة من الفتح الإسلامى إلى أواخر العهد الموحدي، الأصالة، (س/٥)، (ع/٣٤ — ٣٥)، الجزائر، ١٩٧٦م نفس المرجع، ص ٦٨.

وما بعدها.

83- Pellissier: *Annales Algériennes*, T. I, Paris, p. 227.

84- *Mélanges Marçais*, Maisonneuve, Paris 1950, p. 80.

٨٥- الخشني، محمد بن حارث، أخبار الفقهاء والمحدثين، تحقيق، ماريّا لويسا أبيلا، ولويس مولينا، ط - المجلس الأعلى للأبحاث العلمية - مدريد، سنة ١٩٩٢م، ترجمه رقم (٤٩٣) ص ٣٤٨ وما بعدها.

٨٦- جيلالي - عبد الرحمن محمد/ تاريخ الجزائر العام، ط(٢)، الجزائر - بيروت ١٩٦٥م، ج ١، ص ٤١٤، بلغراد - محمد، من أعلام غنابة، الأصالة، (س/٥)، (ع/٣٤ - ٣٥)، الجزائر سنة ١٩٧٦م، ص ٢٤٤ وما بعدها، نويهض - عادل، معجم أعلام الجزائر، ط(١) بيروت، ١٩٧١م، ص ٢٨ - ٣٠.

٨٧- نفسه، ص ٣٧.

٨٨- الغبريني، أبو العباس أحمد بن أحمد، عنوان الدراية، فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، ت - رابع - بونار، ط(٢)، الجزائر، ١٩٨١م، ص ٢١٨، ت - عادل نويهض، ط(١) بيروت ١٩٦٩م، ص ٢٥١.

٨٩- الكعك، غنابة قبل الإسلام، الأصالة، (س/٥)، (ع/٣٤ - ٣٥)، ص ٦٢.

٩٠- بوعبدلي، تاريخ بونه... نفس المرجع، ص ٢١٥ وما بعدها.

ثبت بأسماء المطاوع والمراجع

- ١- الإدريسي؛ محمد بن عبدالله. نزهة المشتاق، ط - بريل ١٩٨٦.
- ٢- البكري؛ أبو عبد الله عبد العزيز. المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ط - مكتبة المثنى - بغداد، د - ت.
- ٣- الجبلاي؛ عبد الرحمن - محمد. تاريخ الجزائر العام، ط (٢)، الجزائر، بيروت، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م، ج ١.
- ٤- ابن جببر؛ محمد بن أحمد. رحلته، ط - لندن، ١٩٠٧م.
- ٥- جوليان - أندري. تاريخ أفريقية الشمالية، تعريب محمد مزالي، البشير سلامة، ط - تونس - ١٩٧٨م.
- ٦- الحموي؛ ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي. معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، ط - بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ج ٤.
- ٧- ابن حوقل؛ أبو القاسم النصيبي. صورة الأرض، منشورات - دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٩م.
- ٨- ابن خلدون؛ يحيى أبي زكريا. بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ت - عبد الحميد - حاجيات، الجزائر - ١٩٨٠م.
- ٩- ابن خلدون؛ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي. تاريخ ابن خلدون، المسمى بـ (العبر وديوان المبتدأ والخبر....) ط - بيروت، د - ت، ج ٦.
- ١٠- الخشن؛ محمد بن حارث. أخبار الفقهاء والمحدثين، ت - ماريا لويسا آبيلا، ولويس مولينا، ط - المجلس الأعلى للأبحاث العلمية مدريد - ١٩٢٢م.

- ١١- الدمشقي؛ أبو البقاء عبد الله بن محمد البدري المصري. نزهة الأنام في محاسن الشام، ط - القاهرة، ١٣٤١هـ.
- ١٢- أبو دياك؛ صالح محمد فياض. الوجيز في تاريخ المغرب والأندلس من الفتح إلى بداية عصر المرابطين وملوك الطوائف، ط - لبنان، ١٩٨٨م.
- ١٣- ابن السراج؛ محمد بن محمد الأندلسي. الحلل السندسية في الأخبار التونسية، ط - تونس، ١٩٧٠م، ج ١.
- ١٤- سرهنك - اسماعيل. حقائق الأخبار عن دول البحار، ط - مصر، ١٣٢١هـ، ج ١.
- ١٥- شيخ الربوة؛ شمس الدين الأنصاري الدمشقي. نخبة الدهر في عجائب البحر، ط - المتن، بغداد، د - ت.
- ١٦- العبدري؛ أبو عبد الله محمد بن محمد الحيحي. رحلته، ت - محمد الفاسي، ط - الرباط، د - ت.
- ١٧- عبد الحق؛ صفي الدين عبد المؤمن البغدادي. مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ت - علي محمد البجاوي، ط (١) دار المعرفة، بيروت ١٣٧٢هـ / ١٩٥٤م، ج ١.
- ١٨- الغبريني؛ أبو العباس أحمد بن أحمد. عنوان الدراية، فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، ت - رابع - بونار، ط (٢) الجزائر، ١٩٨١، ت - عادل نويهض، ط (١) بيروت ١٩٦٩م.
- ١٩- أبو الفداء؛ اسماعيل بن محمد عمر. تقويم البلدان، ط - دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٤٠م.

- ٢٠- ابن قنفذ؛ أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب القسنطيني. **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**، ت - محمد الشاذلي النيفر، عبد الحميد تركي، ط - الدار التونسية، ١٩٦٨م.
- ٢١- ابن منظور؛ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. **لسان العرب**، ط - دار صادر - بيروت، ١٩٥٧م. ج ٥.
- ٢٢- المقدسي؛ محمد بن أحمد. **أحسن التقاسيم**، نشر - غازي طليمات، منشورات - وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨٠م.
- ٢٣- مؤلف مجهول. **الاستبصار في عجائب الأمصار**، ت - سعد زغلول عبد الحميد، ط - دار النشر المغربية، ١٩٨٥م.
- ٢٤- الملي؛ محمد مبارك. **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**. ط - د - ت، ج ٢.
- ٢٥- مدني؛ أحمد توفيق. **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانية - ط (٣) الجزائر** ١٩٨٤م.
- ٢٦- نويهض؛ عادل. **معجم أعلام الجزائر**، منشورات المكتب التجاري، ط (١) بيروت ١٩٧١م.
- ٢٧- الوزان؛ الحسن بن محمد الزباني المعروف بـ (ليون الأفريقي). **وصف أفريقيا**، تعريب - عبد الرحمن حميدة، ط - الرياض، ١٣٩٩هـ.

المجلات

- ١- بلقراد - محمد. - من أعلام عنابة، الأصالة، (س/٥)، (ع/٣٤ - ٣٥)، الجزائر ١٩٧٦م.
- ٢- جيلالي - عبد الرحمن محمد. محمد سيدي بومروان العتيق بعنابة، الأصالة، (س/٥)، (ع/٣٤ - ٣٥)، الجزائر ١٩٧٦م.
- ٣- بورييه - رشيد. - عنابة من الفتح الإسلامي إلى أواخر العهد الموحد، الأصالة، (س/٥)، (ع/٣٤ - ٣٥)، الجزائر ١٩٧٦م.
- ٤- شيني بشير. - هيبون القديمة، الأصالة، (س/٥)، (ع/٣٤ - ٣٥)، الجزائر ١٩٧٦م.
- ٥- بوعبدلي - المهدي. تاريخ بونه الثقافي والسياسي عبر العصور، الأصالة، (س/٥)، (ع/٣٤ - ٣٥)، الجزائر ١٩٧٦م.
- ٦- الكعك - عثمان. عنابة قبل الإسلام، الأصالة، (س/٥)، (ع/٣٤ - ٣٥)، الجزائر ١٩٧٦م.

المراجع الأجنبية

- 1- ALazard, Bnchenneb. Boyer et autres, Algérie (Paris, S.D).
- 2- Braudel, **La Mediterranée et Le Monde Mediterranéen à L' époque de Philippe II**, Paris 1949.
- 3- Peyssonnel des Fontaines. **Voyages dans La Régence de Tunis et d.'Alger**, Publiées par M. Dureau de La Malle, Paris, 1838, T,11.

- 4- Baron – Bande. L, Algerie, T. 1.M. chollet, 5. Point, **Les sources Minieres de La province de Bone.**
- 5- Pelissier, **Annales Algériennes** T.I.
- 6- Ch. Andre Julien. **Histoire de L', Afrique** (Paris 1966) T: 1.
- 7- Shaw (Th). **Travelsor observation Relating to Several Parts of Barbary and the Levant** (Oxford – MDCCCVIII “1738”).
- 8- Hispania Vientrix. Medina del Campo. 1552 (d, après Braudel).
- 9- Luis Lesehi, **Hippone à travers les siècles**, Bull. De L'Ac. De Hippone, No. 36, 1961.
- 10- H. R. Idris, **La Berbérie Orientale sous les Zirides** au XII^E siècle, T. 11.
- 11- L. Cardaillac. **Morisques en Provence**, dans M, de Epalza.